

تأملات في العقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملات

من خلال قصار السور القرآنية (جزء عم)

أ.د. محمد عثمان صالح

الأمين العام لهيئة علماء السودان مدير جامعة ام درمان الاسلامية

تقديم :

إشارة واضحة إلى هذا المدى الأول من الدائرة العالمية (وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ وَطُورِ سَيْنِينَ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ) (سورة التين/ ١-٢) ، فالتين والزيتون يوجدان في الشام رأس شبة الجزيرة العربية وكذلك طور سينين وما حولها وفي مصر.

وقد أقسم الحق عز وجل بقطب الدائرة ومركز الكرة الأرضية مكة فقال: (لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ وَأَنْتَ حَلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ) (سورة البلد/ ١-٢) وعلى بعض التفاسير لا زائدة أوصلة تؤكد القسم.

وإذا انتقلنا إلى محتوى الرسالة ومضمونها فإننا نواجه أحداثاً بل ثورة فكرية واجتماعية هزت العالم القديم سماها الحق عز وجل النبأ العظيم. النبأ الذي أحدث تساؤلاً ضخماً وحركة لم تنتهي بعد!!

(عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ) إلى آخر السورة هذه الصورة الفكرية تخاطب العقول وتحرك النفوس لأن

لقد قدمنا الجزء الأول من هذه الدراسة في العدد السابق والتي سوف تتواصل بإذن الله في الاعداد القادمة.

مقام الرسل والرسالات

نفرد هنا هذه الصفحات من البحث لهذا الركن من أركان الإيمان بالرسالة أشخاصاً ومعنى ومحتوى مع إلقاء نظرة علي المكان والزمان، أما الزمان فهو الفترة التي أعقبت مبعث نوح عليه السلام إلى زمان عيسى عليه السلام، فقد تطاولت القرون منذ محاصرة رسالته من اليهود المجرمين. كما تطاولت أيضاً من قبل مبعثه فيما بينه وبين ثالث أولى العزم من الرسل ، موسى عليه السلام. ولم يبق من الدين إلا الرسوم. فضلاً عن ضلال الصابئة والمجوس والوثنيين على ما بيناه سابقاً. (٧)

أما المكان فهو الكون كله إلا أن نقطة البداية كانت البلد الأمين "مكة" شرفها الله. عاصمة جزيرة العرب وفي سورة التين

وسيلتها العلم والفكر والنظر في الموجودات الأرض المهاد والجبال الأوتاد، والزوجية في كل الكون إلا الواحد الصمد (كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ) ويرى بعض المفسرين أن النبأ العظيم هو الرسالة التي جاء بها المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم المتضمنة في القرآن الكريم بما فيها من العقيدة والشريعة والأخلاق والمعاملات العقيدية التي جعلتهم يتعجبون من خبر البعث والنشور والحساب والجزاء فهم في هذا مختلفون منهم الكافر ومنهم المؤمن.

وما العجب في أن يبعث الله رسولا إلى الناس لهدايتهم، فقد أرسل من قبل موسى عليه السلام وحكى عليهم قصته في السورة التالية: (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ذَهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقَالَ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَزْكِي وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى فَكَذَّبَ وَعَصَى ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى فَحَشَرَ فَنَادَى فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى) (النازعات/ ١٨-٢٦)

وقد خاطبهم الحق عز وجل محذرا بأن عاقبة الكفر والجحود ستكون مثل عاقبة فرعون وجنده . حذرهم وأنذرهم من العذاب في الجحيم وبشرهم بالنعيم في جنة المأوى . وفي السورة التالية سورة عبس بين الرسول صلى الله عليه وسلم أسلوب الدعوة المتمثل في الحرص على المقبلين على الدعوة وعدم

ضياع الوقت مع المعاندين المستغنين عن الهداية ، وفي العتاب الوارد في أول سورة عبس إعجاز معنوي ذلك أن نفوس العظماء جبلت على حب الثناء وكراهة النقد لكن القرآن الكريم يسجل هذا العتاب العتيق للرسول، ألا يدل هذا على أن التنزيل من خارج الذات من لدن حكيم خبير وليس ممن يهوى التمجيد بسبب أو بغير سبب كالذين يحبون أن يحمدا بما لم يفعلوا كلا وألف كلا ما كان للمصطفى أن يخفي شيئا مما نزل عليه وما هو على الغيب بضنين بأن يبخل بالتبليغ وإن كان عتابا مضاً عند البعض هل يمكن أن يكون هذا العتاب المنشور سببا من أسباب اتهامه صلى الله عليه وسلم بالجنون حتى ينزل القرآن الكريم دفاعا عنه وبأن الرسالة آتية من خارج الذات من وحى إلهي له بواسطة أمينة وقوية (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثُمَّ أَمِينٍ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضْنينَ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ) (سورة التكاوير/ ١٩-٢٧)

الأول المشار إليه بالرسول الكريم هو أمين الوحي جبريل (روح القدس) والثاني هو الأمين (محمد صلى الله عليه وسلم) المشار إليه بصاحبكم (لدى أهل مكة) وختمت هذه الآيات بالتحدي المدوي (فأين تذهبون) معنى صريح لقد سدت جميع

والطرق، جميع مسارب الذهاب لأي اتجاه إلا طريق محمد صلى الله عليه وسلم. جميع المذاهب والاتجاهات الفكرية تنتهي إلى أنفاق مظلمة ومسدودة إلا طريق واحد هو الذكر المبسوط للعالمين - هو الطريق المستقيم (من شاء منكم أن يستقيم). ولقد وقعت في يدي منذ سنوات طويلة - وأنا في بريطانيا رسالة صغيرة بعنوان (فأين تذهبون) كتبها مهتد للإسلام من تلك البلاد سمي نفسه عبد القادر حكى فيها قصة إسلامه

بعد حيرة وتردد بين المذاهب والأديان حتى وقف على القرآن الكريم ثم لفتت نظره هذه الآية التي عنون بها رسالته وقد أجرى الله على يديه خيراً كثيراً من نشر الدعوة للإسلام في تلك الجزيرة.

وفي سورة (الأعلى) ربط لمعجزة سابقة وهي كون هذا القرآن العظيم المعجز لفظاً ومعنى يتنزل على أمة لا يقرأ ولا يكتب وهو حريص على أن يؤدي الرسالة كاملة غير منقوصة، لذا كان يعجل بترديد الآيات كي لا ينسى فجاءه أمران يجب أن يأتمر بهما.

الأول: "وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ" (سورة طه ١١٤)

والثاني: (سُفِّرُوكَ فَلَا تَنْسَى) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى وَتُيسِّرُكَ لِلْيُسْرَى (الأعلى ٦-٨).

يعني نيسر لك مهمتك يا محمد ونعينك عليها فلا تعجل ولا تنسى. ها هنا ضمان لاكتمال البلاغ، وضمان لعدم النسيان، بل

كان هذا الإعجاز وهذا الحفظ يقتضي التصديق والإيمان من أهل مكة لكنهم كفروا وكذبوا فجاء التعليق بعد هذه الآيات "قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ" المقصود جنس الإنسان، بدليل قوله تعالى في آية من سورة تالية (وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ) بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (فِي لَوْحٍ مُحْفُوظٍ) (البروج ١٩-٢٢). ولا ادل على ذلك من أن نسخ المصحف في جميع أنحاء الدنيا واحدة غير مختلفة ولا مختلقة وكانت موضع دراسة أجراها بعض المستشرقين فأصبح هذا الإتساق سبباً في إسلامه، وهذا عكس دعوى بعض الرافضة الذين يضمنون التفات ويزعمون مالا يظهرون.

خلاصة وصف الرسالة ومضمونها:-

وصفت رسالة الإسلام التي جاء بها الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بأنها البيئة يعني الواضحة. الواضحة في محتواها، الواضحة في أسلوبها وحجتها، الواضحة في وسيلة توصيلها، الرسول الواضح السيرة والسريرة، وحق لهذه الرسالة أن تنتزل فيها سورة كاملة تحمل موضوعاتها.

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ

وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ (سورة البينة)

يتضح من هذا النص أمور مهمة منها:
الموضوع الأول:

إن أهل الأديان الكتابية من اليهود والنصارى (وكذلك المشركين من الوثنيين الصائبة والمجوس) كانوا في خلاف بين قبل الرسالة وهم بعدها في خلاف أشد. (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب ١٠٠ الخ)

الموضوع الثاني:

إن الرسالة المحمدية من الله تعالى لا يخالطها باطل البشر كما حدث لغيرها فهي في صحف مطهرة من التحريف وفيها أحكام مكتوبة ذات قيمة عالية.

الموضوع الثالث:

إن مضمون هذه الرسالة التوحيد الخالص، والعبادة المائلة عن الباطل، التي لاتشابه عبادة أهل الكتاب والمشركين.

الموضوع الرابع:

إن أمر الدين بعد التوحيد، العبادة الخالصة

لله، وأهمها إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة. الموضوع الخامس: إن من عمل الأعمال الصالحة من اعتقاد وعقيدة سليمة وأداء عبادة صحيحة وخالصة، فهم خير الخليقة من خير انس وملائكة. مهما كان معدنهم .

الموضوع السادس:

إن من عمل الأعمال الشريرة من اعتقاد عقيدة فاسدة والإقامة على الأعمال الباطلة فهم شر الخليقة.

الموضوع السابع:

إن جزاء المحسنين الجنة خالدين فيها ورضوان من الله اكبر وإن جزاء الكافرين العذاب في نار جهنم مع الخلود فيها.

البحث والجزاء والسمعيات

جاء ذكر الجزاء ويوم البعث في مواضع من القرآن الذي نزل أولاً، كما سبقت الإشارة إليه نذكر منها الآتي:

الموضع الأول: في سورة الضحى في قوله سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم ولآخرة خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (سورة الضحى الآية/ ٥ و٤). ومعلوم إن الآخرة اسم من أسماء يوم القيامة كما سيأتي.

الموضع الثاني:

في سورة العلق إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ اى فيجازى الطاغى بما يستحقه، وهذا وعيد بالعذاب، في مقابل ما في الموضع الأول من البشارة بالعطاء الجزل حتى يرضى البشير

ولقد رأى عنه انه قال : "لا أرضى وواحد من أمتي في النار"
الموضع الثالث:

الذي أشار إلى البعث والجزاء قوله تعالى في الفاتحة: مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ويوم الدين هو يوم الجزاء والحساب وهو معروف لدى أهل الكتاب بيوم الدينونة بل إن جميع الأمم تؤمن بحساب وجزاء من نوع ما. كما قيل عن بعض قدماء الفراعنة أنهم يضعون مع الميت المحنط أشياءه حتى إذا قام نهض بها. وإذا رجعنا لأول الجزاء الثلاثين من القرآن الكريم نجد سورة النبأ كلها تتحدث عن هذا اليوم العظيم بل إن معظم المفسرين قالوا إن الاستفسار في قوله تعالى:- عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنْ النِّبَاِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (سورة النبأ الآية: ١-٣). هو يوم البعث والجزاء الذي جاء ذكره واضحاً في السورة إنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ كَانَ مِيقَاتًا يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا وَتُفْتَحُ السَّمَاوَاتُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا (سورة النبأ الآية: ١٧-١٩).

ولعل النظر يُلَفِّتُ إلى تعدد أسماء هذا اليوم فهو يوم الفصل، ويوم يقوم الروح والملائكة صفاء، واليوم الحق، ويوم الدين، ويوم يقوم الناس لرب العالمين، ويوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة (وهي النفخة الأولى في الصور والنفخة الثانية) والصاخة، كذلك النفخة الثانية.

ويسمى يوم القيامة أيضاً يوم تبلى السرائر، والغاشية، والآخرة، والساعة، والقارعة، وكلها كما ترى أسماء مخيفة وما يحدث فيها مما وصف في هذا الجزء اشد هولاً وتخويفاً كما سيرد بعد قليل.

أما إثبات هذا اليوم الآخر فقد وضحت قصار السور المنهج العقلي الذي يقود إلى الإقناع باعتقاده . النموذج الأول سورة النبأ ذاتها التي بدأت جازمة بأنهم "يعنى الكفار" سيعلمونه علماً مؤكداً يستدل عليه بخلق العظام المذكورة في السور وجعلها علامات ودلائل على القدرة . والقادر على البدء قادر على الإعادة من إحياء وبعث وحساب الخ..

والدليل الآخر المتحدى به قوله للمنكرين المعاندين بل للناس أجمعين:

أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خُلُقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمَكَهَا فَبَسَّوْهَا وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا وَالْجِبَالُ أُرْسَاهَا (سورة النازعات الآية/ ٢٧-٣٢).

وأقام الحق تعالى دليلاً آخر على البعث في قوله جل وعلا قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ مَنْ أَيُّ شَيْءٍ خَلَقَهُ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسِّرَهُ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (سورة عبس الآية: ١٧-٢٤)

الخ الآيات التي تدل على القدرة وعلى الخلق المسخر لمصلحة الإنسان، وفي سورة الانفطار تسأل العارف بخلق الإنسان وخلقته حيث قال : يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ

الْأَكْبَرُ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابُهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ
(سورة الغاشية الآية: ١٧-٢٦)

وكما في سورة العاديات فإن الإنسان لربه لكنود أى جحود، وبعد أن يذكر له بعض فضله وأنعامه عليه يقول أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ وَمَنْذِ لَخَبِيرٌ (سورة الغاديات/ الآية: ٩-١١)

أما مشاهد القيامة فهي متوالية في كل الجزء ولكن وقعها اشد في سورة الزلزلة والقارعة والتكاثر وفي الهمزة وفي سورة المسد. فلتراجع النصوص وما كتبه الشهيد سيد قطب في "مشاهد القيامة في القرآن الكريم" فيه كفاية بل إن قراءة هذه السور في المصحف بتدبر عظيم سيصور لك المشهد. ولكن شاءت قدرة الله تعالى أن يكون مع التخويف والتحذير، التطمين والتبشير.

صفة الجنة وصفة النار:

ولنبداً بصفة الجنة ونعيمها تفاؤلاً ومحبة فيها. فأول ما ورد في أول الجزء الثلاثين الوعد بالفوز بالجنة. ولعل اسم الجنة ذاته فيه إحياء بما فيها من النعيم والبهجة قال تعالى: حَدَّثَنِي وَأَعْنَابًا وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا وَكَأَسًا دِهَاقًا لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا (سورة النبأ/ الآية: ٣٢-٣٦)

وهذا الوعد كما جاء في سورة النازعات لمن خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى (فان الجنة هي المأوى).

صُورَةٌ مَّا شَاءَ رَبُّكَ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ
(سورة الانفطار الآية: ٦-٩)

وتتحدث السورة التالية عن المطففين في الكيل والوزن وهما - رمز لكل تطفيف - حين تذكر بالقيامة (الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين) (سورة المطففين الآية: ٤-٦)

وسورة الانشقاق تؤكد ملاقة الإنسان لربه فتؤكد: يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ (سورة الانشقاق/ الآية: ٦) وتؤكد سورة البروج - إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ (سورة البروج الآية: ١٢، ١٣)

أى يبدئ الخلق من العدم ويعيده للوجود فلا يعجزه ما يريد (الجلالين ١٣، ١٢)

وفي سورة الطارق يؤكد النص ذات المعاني :

فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ يُخْرَجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (سورة الطارق الآية: ٧-٩)

وفي سورة الغاشية دعوة صريحة للنظر حيث يطلب من الإنسان أن يؤمن بدليل وبرهان. فبعد أن يذكر له معالم ومشاهد القيامة يدعو إلى النظر أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ إِلَّا مَن تَوَلَّى وَكَفَرَ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ

الحياة المنعمة ولذا جاء قول الحق بالوعد الحق:

وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ لِّلْسَّعِيَةِ رَاضِيَةٌ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَافِيَةٌ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْقُوعَةٌ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ وَنَمَازٌ مَّصْفُوفَةٌ وَزُرَّابِيُّ مَبْثُوثَةٍ (سورة الغاشية/ الآية: ٨-١٦)

هذا النعيم وهذا الرضوان لا يستحقه إلا من عبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة. وكان هناك تساؤل ما جزاؤهم؟ فيأتي الجواب:

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِّينَ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ (سورة البينة/ الآية: ٨، ٧) نعم لا يتم ذلك إلا لمن أطاع فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (سورة الزلزلة الآية: ٧-٨)

ومادام الوزن بهذه الدقة مثقال ذرة فان من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية (سورة القارعة الآية: ٧) عيشة هنية مرضيه كما في تفسير الجلالين.

وأما صفات النار والعياذ بالله منها - فهي دائما تأتي مع صفة الجنة فيما أن تذكر قبلها أو تذكر بعدها بحسب المقام تبشيراً كان أم تحذيراً والقرآن كما نعلم مثاني يعنى يذكر الشئ ورديفه أو نقيضه وتكرار لا يمل بل يثبت المعاني المقصودة ومن أهمها خبر

وتلك إشارة إلى ماوى خالد ، فيه سرور دائم ، كما جاء في سورة عبس وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفَرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ (سورة عبس/ الآية: ٣٨-٣٩)

ويزيد هذا الوصف جمالاً وجلالاً ما جاء في قوله تعالى إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مُمْتَحَمٍ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ وَمِزَاجُهُ مِنَ التَّسْنِيمِ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ (سورة المطففين/ الآية: ٢٢-٢٨)

وهؤلاء المقربون هم الذين يعطون صحائفهم بإيمانهم ، فمن كان كذلك فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا (سورة الانشقاق/ الآية: ٨-٩)

والشرط لذلك هو الإيمان والعمل الصالح إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ (سورة البروج/ الآية: ١١)

ويظهر مشهد تعدد الجنات التي تجرى فيها الأنهار. وَلَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتَانِ (سورة الرحمن/ الآية: ٤٦)، وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ (سورة الرحمن/ الآية: ٦٢)، كما جاء

في سورة الرحمن. وقد تساءلت ما حكمه تعدد الجنان وتعدد أوصافها وخيارات التمتع بها، فأدركت بعد التأمل إن حياة الأبد يحتاج الإنسان فيها إلى تعدد المناظر والمشاهد والمتع، حتى لا يتطرق إليه الملل ابد الأبدین. انه الرضي الذي يطلب في هذه

غيرهم فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ `يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ` وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ` وَصَاحَتِهِ وَبَنِيهِ ` لِكُلِّ أُمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (سورة عبس الآية: ٣٣ - ٣٧)

فإنما جرى الحساب وخسر من خسر يكون المشهود، وَوَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرٌ ` أَوَّلُكَ هُمُ الْكُفَرَةُ الْفَجَرَةُ ` (سورة عبس الآية: الآية / ٤٠ - ٤٢)

وهؤلاء الفجرة كثيرو الغش والفجور هم الذين قال الله عنهم وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ `يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ` وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ` (سورة الانفطار الآية: ١٤ - ١٦) يعنى

مخلدون فيها. ومن الفجرة المطفون (الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون) ونلاحظ هنا تكرار الوصف بالفجور للمخالفين لأمر الله كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سَجِّينٍ ` وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِّينٍ ` كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ` (سورة المطففين الآية: ٧ - ٩) كذلك يلفت النظر الى وصف الكتاب بأنه مرقوم. والتفسير القديمة تفسر المرقوم بأنه المختوم (الجلالين) لكن الذي يظهر لي من التحليل اللغوي انه كتاب رقمي (Digital) وهذا أعجاز في المصطلح لان الرقمية الحديثة لم تظهر حين ظهور هذه التفسير ولذلك كان لابد لهم من إيجاد معنى قريب لتفسير معنى مرقوم (١٢) .

والجزء الأوفى لمن غير دينه وبدل، ولمن غفل وكذب، ولم ينظر إلى آثار رحمة الله وقدرته أن يحجبوا من أهم متعه وهى النظر إلى

يوم القيامة وما فيه من النعيم والجحيم .
وأول مشاهد النار يوم القيامة في
سورة النبأ:

إِنْ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ` لِلطَّاغِينَ مَابًا ` لَا بُدَّ لَكُمْ فِيهَا أَحْقَابًا ` لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ` إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَاقًا ` جَزَاءً وَفَاقًا ` إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ` وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ` وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ` فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (سورة النبأ الآية: ٢١ - ٣٠) . وهذا الجزء "الجحيم" لمن .. طغى ` وأثر الحياة الدنيا (سورة النازعات الآية: ٣٧ - ٣٨) على الآخرة، وهذا عند التعارض مع مطالب الآخرة، ومن التوحيد، ويصدق العبادة وعدم الوقوع في مهلكات الذنوب. وأما إذا لم تطغ أمور الدنيا ومصالحها المتعبرة شرعاً على أمور الآخرة فمن يحرم (زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (سورة الأعراف الآية: ٣٢) .

لقد نوهت سورة عبس إلى هذه الطيبات التي سخرها الله لعباده فقال - فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ` أَنَا صَبَّبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ` ثُمَّ شَقَقْنَاهُ الْأَرْضَ شَقًّا ` فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ` وَعَبْنَا وَقَضْبًا ` وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ` وَحَدَائِقَ غُلْبًا ` وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ` مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ` (سورة عبس الآية: ٢٤ - ٣٢) ، يتمتعون بطيبات الحياة الدنيا وهذه المتع للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة لا يشاركونهم فيها

جُوع ` سورة الغاشية/ الآية: ١- ٧) هذا المشهد السابق لمن أدين بالعذاب في النار التي تحطم الأضلاع وتشوى الجلود (كلا لينبذن في الحطمة وما أدراك ما الحطمة. نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة. إنها عليهم مؤصدة. في عمد ممددة).

وفي السورة التالية (الماعون) انه الويل ، الوادي السحيق في قعر جهنم ، لمن منع الماعون ورفض التعاون على البر والتقوى .إنها النار ذات اللهب التي وعد بها أبو لهب وامرأته حمالة الحطب .وقد تحقق هذا الوعيد لأنه وامرأته ماتا على الكفر، حجا عن الإيمان تحقيقا لهذا الوعيد وكانت سورة المسد هذه من أوائل ما نزل من القرآن يوم أن نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا صباحاه !! لينذر عشيرته الاقربين. فقال الكافر ما قال .وفعلت امرأته ما فعلت! وكان بإمكانها تكذيب القرآن ولو نفاقا بحيث يعلنان إسلامهما فلا يكونا بحسب قواعد الإسلام من أهل النار ولو ظاهريا لكن الله تعالى صرفهما عن ذلك وماتا على الكفر لذا سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ `وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ `فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ` (سورة المسد/ الآية: ٣-٥)

حقيقة الملائكة وعالم الجن :-

وردت الإشارة إلى وجود الملائكة في خبر الرسالة والمرسل إليه وأن رسول الوحي بين الحق عز وجل وبين الأنبياء هو الروح القدس. لكن هنا بيان لركن من أركان

وجه الله الكريم كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِئِذٍ لَّحَجُورُونَ ` ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ ` (سورة المطففين الآية: ١٥- ١٦).

وفي سورة الانشقاق هم ذات الذين أوتوا كتابهم المرقوم لكن هذه المرة تظهر صورة عدم التكريم لهم بأنهم يعطون كتبهم من وراء الظهور، كيف؟ الصورة واضحة ومقابلة لصورة المكرمين الذين تقدم لهم كتبهم من إمام مقدهم أو موقفهم ، ويتناولونها بأيامهم . أما الأشقياء فلا كرامة لهم في هذا التقديم وتظهر أمامك صورة احتفال .أما الشخصيات المهمة فان إكرامهم عن اليمين والآخرين من وراء الظهر يتناولون صحائفهم بالشمال. وبألروعة المشهد حين يدعو ثبورا ويصلى سعيра، وفي سورة البروج إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (سورة البروج الآية: ١٠) والتوبة المذكورة في الآية جزء من الذكرى المشار إليها في سورة الأعلى: سَيَذَكَّرُ مَن يَخْشَى ` وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى (سورة الأعلى الآية: ١٠- ١٣)

ومن عجب أن السورة التالية وهي الغاشية فيها مشهد العذاب أوضح ما يكون في الاستفهام التقريري هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ `وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ `عَامِلَةٌ نَّاصِيَةٌ `تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً `تَسْقَى مِنْ عَيْنِ آيَةٍ `لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ `لَا يَسْمَنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ

الإيمان وهو الإيمان بوجود الملائكة بخاصة وعالم الأرواح بصفة عامة .
 إن الدليل العقلي والدليل النقلى يشبان وجود مخلوقات لا نراها . حتى في العلم الطبيعى بل وفى مجال الخيال العلمى ، ولدى غير المؤمنين ، افتراض قوى بوجود هذه المخلوقات التى لا نراها . هذا فضلا عن وجود الاعتقاد بهذه الكائنات الروحية لدى أهل الكتاب ومعظم الديانات المشهورة .
 فى مطلع الجزء الثلاثين وردت سورة النبأ وفى آخرها صرحت الآية (٣٨) بوجود الملائكة وكبيرهم الروح (القدس) جبريل وقيامهم صفا يوم القيامة فى هيئة سكون ورهبة من مشهد الموقف العظيم أمام رب العالمين **يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا** سورة النبأ / الآية: (٣٨)
 ثم جاءت السورة التى تليها النازعات، كون تبين وظائف بعض الملائكة التى أوكلفها لهم الحق تبارك وتعالى **وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا** سورة النازعات / الآية: (٢١) تصوير لحظة الموت للمؤمنين والكافرين ونزع الروح الذى تقوم به الملائكة .
 فالكافرون تنزع الملائكة أرواحهم نزعاً شديداً . والمؤمنون تنشط الملائكة أرواحهم نشطاً أى تسليها أو تأخذها برفق . ويتوالى القسم بالملائكة لأهميتها أو أهمية ما تقوم به **فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا** **يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتَّبَعُهَا الرَّادِفَةُ** سورة النازعات /

الآية: ٤-٧) . إن هذا القسم تأكيد لما تقوم به الملائكة التى تسبح فى الفضاء بأمر الله تتلقى الأوامر و تذهب بأرواح المؤمنين إلى الجنة . وهى تدبر أمر ما يوكّل إليها من أمور الدنيا . وجواب انقسم لتبعثن يا ايها الكفار **يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتَّبَعُهَا الرَّادِفَةُ** سورة النازعات / الآية: ٦-٧ النفخة الأولى الراجفة للفناء . والنفخة الثانية للبعث والجزاء فى دار البقاء . وفى السورة التالية **كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ** سورة عبس / الآية: (١١) أى هذه الآيات فى صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ **مَّرْقُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ** (سورة عبس / الآية: ١٣-١٦) الإشارة هنا إلى الملائكة السفرة أى الكتبة الذين يكتبون أسفار الوحي من اللوح المحفوظ وهم كرام عند الله وعند المؤمنين بررة " بالطاعة فلا يعصون الله ما أمرهم به ويفعلون ما يؤمرون ، كما جاء فى (التحريم ٦) . وفى التكويد جاءت الإشارة إلى الوحي **إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُّطَاعٍ ثُمَّ أَمِينٍ** (سورة التكويد / الآية: ١٩-٢١) وهى أوصاف لجبريل أمين الوحي تدل على مكانته بين الملائكة وعند الله تعالى . وفى الانفطار ياتى ذكر وظيفة هامة للملائكة وهى:

وَأَنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ سورة الانفطار / الآية: ١٠-١٣

وفى آية أخرى جاء وصف الكاتبين كالتالى:

(سورة العلق/ الآية: ١٨-١٧)، وقد ورد في التفسير "لودعا نادية لأخذته الزبانية عيانا (الجلالين عند تفسير سورة العلق) ". وآخر خبر الملائكة في هذا الجزء في سورة القدر حيث تنزل الملائكة والروح في ليلة القدر تعظيما لها .

وأما الإشارة إلى الجن فإنها جاءت متأخرة في هذا الجزء في سورة الناس التي هي إحدى المعوذتين. ولم يرد تفصيل في مسألة الجن في هذا الجزء، لأن الجن خبره معلوم لدى أهل جزيرة العرب، بل ولكل الأمم. لكن وردت في القرآن المكي سورة كاملة باسم الجن". التي أولها "قل أوحى الي انه استمع نفر من الجن"، كما وردت إخبارهم متفرقة في التنزيل مكية ومدنية ومنهم المؤمنون الذين استمعوا للقرآن، ومنهم المردة الكافرون فذكر إبليس والشيطان والشياطين بالجمع . وهم أعداء للإنسان وينبغي أن تكون العلاقة الوحيدة بهم بعد الإيمان بوجودهم الاستعانة من شرهم عند كل صلاة وفي جل الأوقات. والله اعلم.

المشيئة والقدر:-

الآيات حول المشيئة والقضاء والقدر في هذا الجزء من القرآن المكي ليست كثيرة، ولكن في الإشارات الواردة فيها ما يكفي للأيمان بهذا الركن من أركان الأيمان. أول الإشارات وردت في سورة النبأ في قوله سبحانه (وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا) سورة النبأ/ الآية: ٢٩) الآية تشير بوضوح إن كل

إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ مَّا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ` (سورة ق/ الآية: ١٧-١٨)، والواضح إن كل واحد من الملكين يسمى أو يوصف بأنه رقيب عتيد يعنى قوى المراقبة شديد عليها، احدهما يكتب الحسنات والآخر يكتب السيئات وفى هذا وردت أحاديث فلتراجع في موضعها، وهذا الكتاب مشار إليه سابقا والموصوف بالمرقوم يشهده المقربون من الملائكة كما جاء في معظم التفاسير. على إن سورة الطارق تؤكد حفظ كل نفس إن كل نفس لما عَلَيْهَا حَافِظُ سورة الطارق/ (الآية: ٤) حفظ تسجيل لما يقع منها من أعمال اوحفظ حياة إلى أن يأذن الله بزوال. وهذا الأخير من المشاهدات.

وفى مشاهد القيامة ياتى في سورة الفجر كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًا وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ` (سورة الفجر/ الآية:- ٢١-٢٢)، وهى الساعة التي يقوم فيها الناس مع الملائكة لرب العالمين. وفى سورة العلق تشير كل التفاسير وأحاديث أسباب نزولها، كما في صحيح البخاري (باب بدء الوحي) إن الذي أمر بالقراءة هو أمين الوحي جبريل جاء بهيئته التي خلقه الله عليها. أما في آخر السورة ذاتها فصورة مقابلة لملائكة تسمى الزبانية غلاظ شداد لإهلاك أعداء الله مثل أبى جهل الذي نهى المصطفى عن الصلاة وتحداه المولى عز وجل فقال فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ` سَدْعُ الزَّبَانِيَةِ `

أن يستقيم) على إن علم الله قبل التكوين (في عالم الذر) سبق أن فلاناً سيستقيم. أو أن فلاناً الآخر لا يستقيم، فجرى الكتاب في اللوح المحفوظ بذلك. (١) ولا تتغير مشيئة الإنسان السابقة في الأزل لسبق الكتاب كما في حديث الصادق المصدق (البخاري ١٦٢). ولا يجبر على غيرها في الحياة بدليل قوله تعالى لرسوله فذكر إنما أنت مذكرٌ لست عليهم بمسيطرٍ إلا من تولى وكفرَ فيَعَذَّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ (سورة الغاشية/ الآية: ٢١-٢٦) ويخطئ كثير من الناس في فهم هذه الآية وإن فيها استثناء من حكم التذكر دون الإكراه. والفهم الصحيح تؤكد آية : لا إكراه في الدين (سورة: البقرة ٢٥٦). ومعنى إلا من تولى وكفر (لكن من تولى وكفر) فليست لا أداة استثناء وإنما بمعنى لكن (الجلالين). ومن ثم تكون مشيئة الإنسان من علم الله الأزل وليست من إجبار الله له. بدليل قوله تعالى في سورة الأعلى سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (سورة الأعلى/ الآية: ١٠-١٥)، فالشقاوة والسعادة أزليتان لكن يعلم الله لا بإجباره. وإشارة قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (سورة الأعلى/ الآية: ١٤) بعد هذا السباق تدل على حرية الفعل والحركة.

شئ من الأعمال والمقادير وما يقع من القضاء أحصاه الله تعالى في اللوح المحفوظ ليجازى عليه إن كان قضاءً تكليفيًا أو يجازى على الصبر عليه إن كان قضاءً قدرياً.

والإشارة الثانية في سورة عبس في قوله سبحانه عن ابنِ نَسَانٍ مَنْ أَيْ شَيْءٍ خَلَقَهُ مَنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرُهُ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أُنشِرَهُ (سورة عبس/ الآية: ١٨-٢٢)، فالمشيئة والقدر له تعالى لأنه الفعال لما يريد كما جاء في سورة البروج، لكنه بفضله ترك مساحة لحرية الإنسان في القضاء التكليفي الذي هو الأمر والنهي فإذا أطاع أَرْضَى ربه وبصبح من الذين جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ (سورة البينة/ الآية: ٨)

أما إذا عصى وأبى فيقال فيه كَلَامًا يَقْضِي مَا أَمَرَهُ (سورة عبس/ الآية: ٢٣) يعنى عصى وأبى. وفي سورة التكوير أوضحت الآيات في ذكر المشيئة والقدر فبعد الحديث عن تنزيه التنزيل وصدق الرسول يقول الله تعالى إِنَّهُ هُوَ إِلَّا ذِكْرُ لِلْعَالَمِينَ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ وَمَا تَشَاوُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (سورة التكوير/ الآية: ٢٧-٢٩)، هنا تذكر مشيئتان بوضوح مشيئة الإنسان ومشيئة الله تعالى. أما الإنسان فقد خلقه وامتعه بحرية الاختيار في القضاء التكليفي (فمن شاء منكم

المنشط والمكره .

وقد حدد مفهومها في هذا الجزء من القرآن الكريم عند قوله تعالى وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ (سورة البينة/ الآية: ٥) ، وأكد ذلك المفهوم في سورة الكافرين كما سيأتي

معنى لطاعة :

وكما هو معلوم فإن العبادة لا تكون إلا بطاعة المعود فيما يأمر به وفيما ينهى عنه . بل هي إلتماس رضاه في كل شأن من الشؤون ، مع المحبة له ، كما هو مفهوم قول الشاعر :

إن المحب لمن أحب مطيع

هذا مع الخشية من غضبه كما هو شأن العباد أهل الرضي المشار إليهم بقوله تعالى :

جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ (سورة البينة/ الآية: ٨) ، المفهوم العام للطاعة

يشمل كل عمل صالح يقره الشرع ويحقق عمارة الدنيا ومصالح العباد وهم المستثنون من أهل العذاب الأليم ، كما جاء في سورة الانشقاق الآية: ٢٥ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ، وبهذا المفهوم العام جاءت آيات: البروج (١١) ، التين (٦) ، البينة (٧) ، العصر (٣) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ .

أما المفهوم الخاص للعبادة فهو عند الكثيرين

وأما ذكر الكتاب المرقوم . ولكل من الأبرار والفجار كتاب مرقوم . (١٧) فهو الذي تدون فيه الأعمال المنجزة وفق الاختيار في العلم الازلي فنحصل من هذا البيان توضيح أهم نقطة من مسائل العقيدة التي يحتاج إلى فهمها الكثيرون ، والله اعلم .

وخلاصة هذا القول :

- الإيمان بالله تعالى اسماً وذاتاً وصفة . على الوجه الأتم واختصاصه بالعبادة والاستعانة والقسم .

- الإيمان باليوم الآخر من الحساب بعد البعث والنشور .

- الإيمان بالملائكة وعالم الملكوت وما وراء الحس .

- الإيمان بقضاء الله وقدره وقدرته على الخلق والإيجاد والنفع والضر .

- الإيمان بالكتب .

- الإيمان بالرسل .

قراءة في العبادات

المفهوم العام للعبادة :

معنى العبادة :

العبادة في المفهوم اللغوي هي الخدمة في تذلل وطاعة . وعبد : ذلله ، يقال عَبْدٌ الطريق . و عَبْدٌ فلاناً اتخذه عبداً . ومن ذلك العبودية بمعنى الرق . والعبودية بالمعنى الديني لا تكون إلا لله تعالى . وهى طاعته والانقياد لأمره والاستسلام لقضائه في

إلى الإنسان الكافر المتمرد العاصي قُتِلَ
الإنسانُ مَا أَكْفَرَهُ مَنْ أَيُّ شَيْءٍ خَلَقَهُ مَنْ
نُطِفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسِّرُهُ ثُمَّ مَاتَهُ
فَأَقْبَرَهُ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ كَلَّا لَمَّا يُقْضَى
مَا أَمَرَهُ (سورة عبس/ الآية: ١٧-٢٣)،
فالالتزام بأوامر المعبود ونواهيه هو الطاعة
وعكس ذلك هو العصيان والطغيان. ومن
خالف ووصف بهذه الأوصاف كان جزاؤه إِنَّ
جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا لِلطَّاغِينَ مَابَا (سورة
النبأ/ الآية: ٢١ و٢٢)

ولأن تكون الطاعة مقبولة إلا بالتصديق
والتصديق بما جاء به الوحي وهو الإيمان الحق
يصاحبه الإذعان المطلق. أما اكبر الطغيان
فهو الكفر والتكذيب إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ
حِسَابًا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا (سورة النبأ/
الآية: ٢٧ و٢٨)

إن السورة التي سبقت سورة النبأ هذه يكرر
فيها التهديد بالويل للمكذبين عشر مرات.
فماذا يعنى ذلك غير الدعوة للالتزام
بالتصديق حتى يكون المؤمن في أعلى
درجات الإيمان وفي قمته (الصدقية).

وواضح إن الإيمان مرتبط بالعمل وبهذا
وحده تكتمل الطاعة بدليل قوله تعالى وَتِلْ
يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا
يَرْكَعُونَ وَتِلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ
بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (سورة المرسلات/ الآية: ٤٧-٤٥).

ويتكرر الوعيد بالويل للمكذبين في سورة
المطففين أكثر من مرة ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ

الشعائر من صلاة وزكاة وصوم وحج ونسك
. نعم هذه عبادات خاصة وشروط صحتها
كثيرة ويمكن إجمال هذه الشروط في نقطتين
:

- خلوصها لله تعالى دون رياء ولا غفلة.
- موافقتها لنصوص من فعل المصطفى
صلى الله عليه وسلم.

وقد أجمل هذين الشرطين سورة الملك تَبَارَكَ
الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ
أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ (سورة
الملك/ الآية: ١ و٢)،

فالعمل الحسن هو أخلصه وأصوبه، كما هو
مشهود في قول الفضل بن عياض.

والعبادة في المفهوم القرآني في هذا الجزء
وغيره هي التوحيد الخالص ومفارقة كل
شبهة مdahنة أو مصانعة، فطريق التوحيد
لا يمر عبر هذه الطرق. انه الفرقان بين الحق
والباطل. وانه الصراط المستقيم الذي هتف
به الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم
قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ
' وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلَا أَنَا عَابِدٌ
مَا عَبَدْتُمْ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ
دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (سورة الكافرون).

معنى الطاعة بالمفهوم العام :

يتضح مما سبق إن العبادة هي الطاعة
والانقياد لحكم المعبود. ويكون الإنسان
مطيعا إذا أدى ما يؤمر به أو أن ينته
عما نهى عنه. وفي سورة عبس إشارة

بِهِ تُكَذِّبُونَ (سورة المطففين / الآية: ١٧).
وفي سورة الانشقاق السخرية من المكذبين
بتبشيرهم بعذاب اليم.

إن العبادة والطاعة كما تقدم اشمل من مفهوم
الشعائر بدليل قوله تعالى إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى
'فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى' وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى
فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى 'وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى
'وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى' فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (سورة
الليل / الآية: ٤-١٠)

الهدى وانتقوى

الهدى في معناه اللغوي الرشاد تقول
هدى فلانا إلى الطريق أرشده إليه وعرفه به
والهداية إلى الخير الدلالة عليه والهادي من
أسماء الله الحسنى فهو سبحانه الذي يهدي
من يشاء إلى صراط مستقيم .

وقد جاء في سورة الفاتحة الدعوة لهداية الله
تعالى بقولنا: اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ
(سورة الفاتحة / الآية: ٦) أى أرشدنا إلى
طريقك يا الله ، طريق الحق والنور الممتد من
الدنيا إلى الآخرة في جنات النعيم. وقد
مثل ذلك قول أحد الصحابة رضى الله عنه
"لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
على طريق آخره في الجنة وأوله عندنا"

وقد وعد الله تعالى إن يهدى من استهدى
إلى طلب الهدى وسعى له وذلك في قوله
سبحانه سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى الَّذِي خَلَقَ
فَسَوَّى 'وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (سورة الأعلى /
الآية: ١-٣).

وهذه الهداية بالمفهوم العام
تعنى البيان لطريق الحق وفرزه من طريق

الباطل. بدليل أية أخرى أصرح في بيان
المقصود وهي قوله تعالى: وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ
(سورة البلد / الآية: ١٠).

قال المفسرون النجدين الطريقين والمعنى بينا
له طريق الخير ليسلكه وطريق الشر ليفارقه.
والحق عز وجل لم يكتف بالبيان وحده وإنما
دل على طريق الخير وحده وحبب فيه بدليل
قوله بعد هذه الآية فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ وَمَا
أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (سورة البلد / الآية: ١٢-١٣)

تَعْظِيماً لَشَانِهَا وهي التكاليف
والأحكام الشرعية من واجب ومستحب
ومكروه وحرام وغيره. بل إن كل القرآن هدى
للمتقين كما جاء في ثاني سورة في ترتيب
المصحف وهي البقرة .

وفي سورة الليل أوضح دلالة أن المؤمن مَعَان
على سلوك طريق الرشاد. وواضح من القسم
في أول السورة التأكيد على هذه الحقيقة.
وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى وَمَا
خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى 'إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى
'فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى' وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى
'فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى 'وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى
'وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى' فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى وَمَا
يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى 'إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى
'وَإِنَّ لَنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَى 'فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا
تَلَظَّى ' @ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِي
كَذَّبَ وَتَوَلَّى 'وَسَيَجْزِيهَا الْآتَى (سورة
الليل / الآية: ١-١٧)

أما الاشقى الأكثر سوءاً فهو الذي ينهى عن
الهدى. لا يكتفى بضلالة نفسه بل يسعى

ثمرة التقوى الطمأنينة :

إن التقوى إنما تكون بالعبادة بمفهومها الشامل الذي بيناه من أداء الواجبات بأنواعها كافة والانتهاز عن المحظورات والاقتصاد في المباحات ، فإذا تحقق ذلك وتخلّى الفرد والمجتمع كانت الثمرة الطمأنينة والحياة الطيبة في الدنيا والفوز بالنعيم المقيم في الآخرة.

إما في الدنيا فقد سخر مافى السموات، والأرض لمناع الإنسان والحيوان تأمل قوله تعالى: فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعَبْنَا وَقَضًا وَزَيْتُونًا تَنْخُلًا وَجَعَلْنَا لَكُمُ الْغُلَبَ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنعَامِكُمْ (سورة عبس/ الآية: ٢٤-٣٢). ومع أن التمتع للبشر كافة حيث أن الأنعام من متعته هذه إلا أن متعة المؤمن ليست كمتعة الكافر إذ: تمشح المؤمن نشوة الشكر لله المنعم. أما الكافرون... (والذير: كفروا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ) (سورة محمد/ الآية: ١٢)، وتأمل قوله تعالى إِنَّ الْأَبْرَارَ لَنُؤْتِيهِمْ نَعِيمًا وَإِنَّ الْفُجَارَ لَفِي جَحِيمٍ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ (سورة الانفطار الآية: ١٣-١٥)، فالوعد للأبرار بالنعيم مطلق في الدنيا والآخرة.

النعيم نعيم الرضي، بالشكر على المقسوم والصبر على المعدوم. أما الفجار فيصلونها يوم الدين، وإذا تمتعوا في الدنيا فمتعة

ليضل غيره كما جاء في أبي جهل أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى (سورة العلق/ الآية: ٩-١٤)

ثم يأتي الوعيد الشديد الذي يستحقه كل صاد عن الحق .

ومن أهم أركان الهداية كما هو واضح في النص الأمر بالتقوى والدعوة لها .وهي كما تعلم اتقاء غضب الله تعالى .والخوف من عدم رضوانه وعدم محبته .ومعنى التقوى كما اثر عن أبي الحسن على رضي الله عنه : " الخوف من الجليل .والعمل بالتنزيل والاستعداد ليوم الرحيل " وقد أمر الحق عز وجل بالتزود بالتقوى في قوله سبحانه ... وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ (سورة البقرة/ الآية: ١٩٧) وتجمع كثيرا من أعمال التقوى آية البرد التي وضحت مفهوم البر بقوله سبحانه في سورة البقرة لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (سورة البقرة الآية/ ١٧٧)

أعظم ما ادخل عليه الطمانينه والسرور فرض الصلاة عليه وفرض النسك وإعطائه الكوثر، وهو الشئ الكثير سواء كان الحوض المورد في الجنة أو الخير الكثير في الدنيا من الرسالة، ونصر الله والفتح، أو في الآخرة من الشفاعة والجنة والزيادة بالنظر إلى وجه الله الكريم. أو قمع العدو اللدود في السورة **إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ** ^١ **إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ** (سورة الكوثر).

وفى سورة قريش امتن الله عليهم بالرزق والأمن وطلب منهم أن يعبدوه بالصلاة بدليل الإشارة إلى الكعبة البيت الحرام **فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ** (سورة قريش الآية ٣-٤)، ولا ينافى هذا التخصيص العبادات الأخرى من ذكر وحج وعمرة وكان الحج والعمرة كما سيأتي من العبادات الباقية من عهد إبراهيم الخليل وابنه إسماعيل (عليهما السلام).

وقد حذر الحق عز وجل **الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ** ^٢ **الَّذِينَ هُمْ يُرَآؤُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ** (سورة الماعون/ الآية ٥-٧).

فالسور الثلاث قريش والماعون والكوثر يرد فيها ذكر الصلاة بصيغة الأمر أو الذم على السهو والترك. وليس السهو المقصود هو ما يعرض للمصلى وإنما هو الغفلة والترك أو الفعل رياء. مع إن العبادة الحققة لأتكون إلا مع الإخلاص، كما مر في سورة البينة من قوله **وَمَا أَمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ**

ناقصة وزائلة. ويؤكد هنا أن نفس المؤمن راضية مرضية مطمئنة في الدنيا والآخرة، أنه يقال لها عند الموت هذا الخطاب **يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّاتِي** (سورة الفجر الآية: ٢٧-٣٠).

وقد جاء باللفظ المؤكد **قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا** (سورة الشمس الآية: ٩-١٠).

الشعائر وقيمتها الروحية والفكرية والبدنية.

الصلاة أول الشعائر وأهمها:

الصلاة هي الصلة بين العباد وربهم، وهى إما دعاء وترحم أو شعيرة من الشعائر المخصوصة. ويقال في تعريفها العبادة المخصوصة بأركانها وشروطها وحدود أوقاتها وشعائرها المفتوحة بالتكبير والمختتمة بالتسليم.

وقد أمر الله تعالى بها رسوله صلى الله عليه وسلم من بداية الرسالة. بل إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتحنث أى يتعبد من قبل البعثة الليالي ذوات العدد، وربما كانت صلاته تأملا وتفكرا ثم ركوعا وسجودا بعد البعثة لكن فرضت الصلوات الخمس ليلة الإسراء والمعراج كما هو معلوم ومن تلك السور القصيرة المبكرة في بداية الدعوة التي أمرت بالصلاة (الكوثر) لأنها جاءت تسليية لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) بعد ما أصابه من أذى الكفار ما أصابه. ومن

والروحانية بل البدنية التي يستفيد منها المصلي من الصلاة .

أول: هذه الفوائد أن الصلاة تكسب صاحبها الصدق فهو إذ يتطهر هو وحده الذي يعرف إن كانت طهارته كاملة أم ناقصة لأن الطهارة فيها الجانب الداخلي وفيها المظهر الخارجي .

الثاني الصلاة تكسب صاحبها الإخلاص بتجديد النية .

الثالث : الصلاة تحرك الفكر بتنشيط الذاكرة فهو يقرأ بتركيز يفيد في حياته الدنيوية . ومادامت فيها فتنة فان فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره تكفرها الصلاة والصوم والصدقة (مختصر البخاري ٣٣) .
والصلاة لها اثر طيب في تقوية الجسد كما أثبتت البحوث الحديثة

الثاني: الصيام

وعلى ذات النهج المفيد للإنسان روحياً وفكرياً وجسدياً شرع الله تعالى الصيام وجعله ركناً من أركان الإسلام في الحديث المشهور : ((بنى الإسلام على خمس : شهادة ألا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً)) .

والمعلوم أن صوم رمضان إنما شرع في السنة الثانية من الهجرة ولذا لم نجد أثراً لفرض الصوم في الجزء الثلاثين الذي نتناوله بالدراسة في هذه المباحث . هذا لا ينفي أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يصوم

الَّذِينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ (سورة البينة/ الآية ٥)

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فرض عليه من الصلاة ما لم يفرض على غيره في الصلوات الخمس . وكان من أوائل ما نزل سورة المزمل التي تم فيها هذا التكليف العظيم يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ قُمْ لِلَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا نَصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (سورة المزمل/ الآية ١-٥) . ولما

خضع رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمر الله فجحد في صلاته وتهجد وتطاولت ليلاته وتلاواته للقرآن الكريم وأصبح الكافرون يستمعون إليه وهم نجوى (الإسراء ١٧) غضب ابوجهل عمرو بن هشام ونهى رسول الله عن الصلاة سواء كان في بيته أو حول الكعبة فيما يبدو، فانزل الله تعالى أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى كَمْ يَعْزِلُ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ كَلَّا لَا تَطَعُهُ وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ (سورة العلق/ الآية: ٩-١٩)

مما سبق يتضح أهمية الصلاة في هذه الرسالة الخاتمة . فالصلاة كما جاء في الصحيح من الحديث : (أول ما يسأل عنه العبد صلاته فان صلحت صلح سائر عمله) .

وفى هذا الحديث إشارة إلى الفائدة الفكرية

الأول لم يتناول هذه العبادة إلا بالإشارات السابقة.

المعرضون عن العبادة :

أول المعرضين عن العبادة هم الكافرون، والعبادة المقصودة هي العبادة الحققة، لإلله الحق . وبشرطها التي سلفت وأولها الإيمان بأركانه المعلومة من الإقرار بوجود الله وتوحيده وتنزيهه . ثم يلي ذلك الإيمان بالمرسلين وبخاتمهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم الإذعان لما جاء به من التكليف فمن أنكر شيئا من ذلك أو عاند من المعرضين سيرى مصيره **إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا** (سورة النبأ/ الآية: ٤٠).

الثاني من المعرضين الساهون عن صلاتهم وإن كانوا مؤمنين فقد توعدهم الله بالويل فقال سبحانه **فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ الَّذِينَ هُمْ يُرَاوُونَ وَيَمْتَعُونَ الْمَاعُونَ** (سورة الماعون/ الآية: ٤-٧)

وقد أورد المفسرون كما مر من قبل أن الساهين عن صلاتهم هم الغافلون عنها يؤخرونها عن وقتها وبراءون عن أدائها لها (الجلالين) فتحصل من ذلك أنهم من المسلمين ولكن تهاونوا بصلواتهم استخفافا فاستحقوا في الدنيا العتاب ثم في الآخرة العذاب ، إلا أن يحدثوا توبة .

الثالث من المعرضين الذين لا يكتفون بكفرهم وإنما يصدون عن الصلاة وينهون

تطوعا الليالي ذوات العدد وقد يصادف ذلك رمضان كما ورد في حديث البخاري باب بدء الوحي.

الثالث : الزكاة :

الزكاة هي النماء والزيادة وهي زكاة مال وزكاة فطر، وقد تأخر في حكمها إلى السنة الثانية من الهجرة ، لكن المفهوم العام للزكاة دائماً مرتبط بالزكاة حُنْفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ هَذَا الجزء من القرآن تكرر فيه ذكر التزكية حثا عليها وثناءً لمن قام بها مثل قوله سبحانه **قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (سورة الشمس الآية: ٩)** . وقوله **وَسَيَجْزِيهَا الْآتِقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى** (سورة الليل/ الآية: ١٨-١٩) .

والتزكية كما هو مفهوم تشمل كل أنواع الطاعات التي تربي النفوس وتدعوها إلى طريق الخير والبر . ومن أهمها تلاوة القرآن الكريم وتدبر معانيه والسجود حين ترد آيات السجود .

الرابع : الحج والعمرة :

الحج والعمرة معلومان قبل البعثة وهما بقايا دين إبراهيم (الحنيفية) ومعالمهما ثابتة في وجود الكعبة . وفي منى وعرفات والمشاعر، وقد جاء أن العرب كانوا يحجون كل عام ولما أراد النبي صلى الله عليه وسلم العمرة في حادثة الحديبية انتهى الأمر بينه وبين المشركين إلى صلح يعتمر فيه العام القادم . ولما كان رسوخ الحج والعمرة في أذهان المهاجرين للوحي أن القرآن المكي

أول سورة البقرة فهم بين مؤمنين، ومنافقين، وأهل كتاب (يهود ونصارى) ومشركين وكل واحد من هؤلاء افترق إلى فرق مثل الباقيين كما ورد في قوله تعالى : (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومُنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم) . (البقرة ٢١٣) .

حقيقة الإنسان :-

كما هو معلوم فان أصل الناس هو الإنسان فالناس جمع لا مفرد له في اللغة إلا الإنسان. والإنسان خلق من نفس واحدة استنسخت فكانت زوجين (ادم وحواء) وهذا ما تشير إليه سورة النساء (وتأمل النسبة إليهن في الأرحام) قال تعالى: (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا) . (النساء ١) .

في الجزء الثلاثين الذي ندرسه جاء ذكر الإنسان لبيان حقيقته أولاً، وهو أول ما نزل

(اقرأ باسم ربك الذي خلق وخلق الإنسان من علق) .

فالمقصود بالقراءة تعلم الوحي بداية والمقصود

عنها كما مر في شأن أبى جهل وأشباهه الذين كانوا يسخرون من المؤمنين المصلين والموصوفين في قوله سبحانه في سورة المطففين إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُونَ (سورة المطففين/ الآية: ٢٩-٣٢)

وتأتى سورة البروج تظمن المسلمين إلى أن مصير أعدائهم إلى بوار وفشل عاجل وعذاب أجل . والمثل المضروب فيها من أصحاب الأخدود فيه الكفاية إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ سورة البروج/ الآية: ١٠)

قراءة في الأخلاق

المخاطبون بالأخلاق

أصناف الناس:

المخاطبون بالأخلاق هم الناس - بكل أصنافهم - مؤمنهم وكافرهم، برهم وفاجرهم. وكما أنهم هم المخاطبون فإنهم هم من يستفيدون من الخطاب. فهم الداء والدواء ومن ثم جاء قوله تعالى (الذين إذا اختلفوا على الناس يستوفون . وإذا كالوهم أو وزنهم يخسرون) . (المطففين ٣، ٢) .

ولقد عجبت من ورود ذكر الناس في القرآن الكريم بهذه الكثافة حيث وردت الكلمة أكثر من (أربع وستين ومائتين مرة) (المعجم المفهرس) . هذا فضلا عن ذكر أصنافهم في

وأما الشياطين وأولهم إبليس فقد عصوا الله تعالى ولذا حرمهم من الجنة وتوعدهم النار : (فكبوا فيها هم والغاؤون وجنود إبليس أجمعون) (الشعراء ٩٥)

وكما اشرنا سابقاً فإن الله تعالى هدى الإنسان النجدين، فدلّه على الخير، وحذره من الشر، فهو يكابد الاختيار بين الطريقين كما يكابد العمل. والمكابدة هي النصب والتعب كما في الآية: (لقد خلقنا الإنسان في كبد) (البلد ٤). حتى الأنبياء المعصومون يكابدون التكاليف الم يقل الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم : (فإذا فرغت فانصب . وإلى ربك فارغب فإذا فرغت من الصلاة المكتوبة فواصل العبادة نافلة أو دعاءً وغير ذلك .

وهكذا يسوق القرآن الكريم الإنسان سوقاً إلى معالي الأمور . ويجعل من الرسول الكريم قدوة صالحة للصبر على التكاليف . وتجدد الأمل في النصر والفرج (إن مع العسر يسراً . إن مع العسر يسراً) وتأتى البشارة أصح في قوله تعالى : (إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا . فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان تواباً) إن هذه البشارة بمستقبل الإنسان جاءت ببذل الجهد مكابدة ونصباً في الدعوة والعبادة .

هل نستطيع أن نقول لولا وازع الدعوة ووازع القدوة ثم ما ذكرناه من سلامة الفطرة لهلك

بالخطاب هو هذا الإنسان الذي خلقه الله من علق وفي سورة الطارق دعوة للنظر في النشأة الثانية (فلينظر الإنسان مم خلق . خلق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب) وفي الانفطار دعوة للتأمل في جمال الخلق وكماله : (يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في أى صورة ما شاء ركبك) . هذه تشير إلى النشأة الأولى لأدم عليه السلام يوم أن (قال ربك للملائكة أنى جاعل في الأرض خليفة) (البقرة ٢٠) ووضح سبحانه مراحل الخلق في قوله : (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين) (المؤمنون ١٢، ١٣) . وتدرجت الآيات بعدها في مراحل الخلق الأمر الذي عده علماء الأجنة من الإعجاز العلمي الذي لا يطلع عليه بشر في وقت تنزل القرآن كما شرحه (باترك مور والشيخ الزدنانى) .

زوجية الخلق:

هذا وإن علم الجينات الجديد وعلم الوراثة ستكون له أصداء عظيمة في إثبات خطئ نظرية النشوء والارتقاء أو (الداروينيه) المعارضة للدين .

لقد شُخص الإنسان في الجزء الثلاثين على انه خلق كادحا (أى جاهداً مجهداً في العمل) متوسطاً بين الملائكة والشياطين .

أما الملائكة وقد جبلوا على الطاعة فهم (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) (التحريم ٦) .

الإنسان هَمَلًا لاختيار عقله غير الرشيد بل رعته وبينت له إن عاقبة الجحود والفجور الهلاك (أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور. وحُصِّلَ ما في الصدور . إن ربه بهم لخبير) أى يعلم ما قدموا فيجازيهم على أعمالهم ومثل هذا المعنى في سورة القيامة (بل يريد الإنسان ليفجر أمامه . يسأل أيان يوم القيامة . فإذا برق البصر . وخسف القمر . وجمع الشمس والقمر . يقول الإنسان يومئذ أين المفر . كلا لأوزر . إلى ربك يومئذ المستقر . ينبؤا الإنسان يومئذ بما قدم وأخر ... إلى قوله تعالى (كلا بل تحبون العاجلة . وتزرون الآخرة) .

وحسب الاختيار يكون الجزاء كما جاء في هذه السورة كما في غيرها فقد جاء (إن الأبرار لفي نعيم . وإن الفجار لفي جحيم . يصلونها يوم الدين ... الخ) .

ميزان الخير والشر :-

واضح مما تقدم إن الموازنة بين الخير والشر لا يمكن تركها لاختيار الإنسان لما يغلب على بعض البشر من اختيار الأسهل وتجنب الأصعب . وبعبارة أخرى اختيار الرخص وترك العزائم . يقول الحق عز وجل (إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا) لكن يراد للإنسان أن يختار الخير وألا يكون كفورا . لذا قيل للداعية الأول خاتم الأنبياء (فذكر إن نفعت الذكرى . سيذكر من يخشى . ويتجنبها الأشقى . الذي يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيى .

الإنسان وخسر بإخلاده إلى الأرض وتقديمه العاجلة على الآجلة؟ نعم!! إن الاختيار الصعب هو اختيار تقديم الآجلة مثل قوله (وللآخرة خير لك من الأولى) (الضحى ٤) وقوله (بل تؤثرن الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى) (الأعلى ١٦) أما عند الاختيار الخطأ فالحسran هو الأغلب بدليل قوله تعالى: (والعصر إن الإنسان لفي خسر . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) .

هذا الحسran سببه المباشر الكفر أو غياب الوعي أو عدم الانتفاع بأساليب الدعوة الصحيحة أو ما جاء في الآيات التي يقول فيها : (كلا أنها تذكرة . فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بايدي سفرة كرام بررة قتل الإنسان ما أكفره . إلى قوله تعالى (كلا لما يقضى ما أمره) وواضح لي أن سبب الكفران هو سوء الاختيار بما يغلب على الإنسان من العَجَلَة والحب الخطأ لما يظن أنه "خير" فيه متعة وهو ليس كذلك. وقد بين هذه الحالة في سورة العاديات بعد القسم. (إن الإنسان لره لکنود . وانه على ذلك لشهيد . وانه لحب الخير لشديد) . هذا اختيار عامة البشر كما هو مشاهد اليوم وعبر التاريخ ، تقديم اللذة العاجلة على النعيم الأجل . والاشتغال باللهو واللعب ومتاع الغرور وهو "شهيد" على ذلك، لكن عناية الله تعالى لم تترك

الذين (كانوا لا يرجون حساباً . وكذبوا بآياتنا كذاباً . وكل شئ أحصيناه كتاباً) (٢٦-٢٩)

الموازنة بين الآجل والعاجل:

وتكاد السور السبع الأولى من الجزء تنفرد بتركيز الإيمان باليوم الآخر ، اليوم الموعود الذي يجازى فيه المحسن ويعاقب فيه المسيء . وإذا استقر هذا المعنى في النفوس فإنها تنهياً للتلقي . وتستعد للامتنال والطاعة . إن هذه السور وغيرها في هذا الجزء تدعو إلى الإقناع العقلي لا العاطفي وحده . بالدعوة للنظر والتفكير حتى يأتي الاقتناع على قاعدة إيمانية صلبة كما مرت الإشارة إلى ذلك .

أيقاظ الضمائر:-

كلمة الضمير في الاستخدام الحديث لعلم النفس تقابلها كلمة السريرة وجمعها "سراير" . في الاستخدام القرآني ومعلوم إن الضمير يعنى الشئ المضمّر وفقاً لغريزة حب الخير والحق فيقال فلان يتمتع بضمير صاف أو ابيض في مقابل النية السوداء أو الضمير الخرب . وفي تفسير الجلالين (السراير ضمائر القلوب في العقائد والنيات)

في ذات السياق الخَيْرُ تربية الآيات القرآنية مراقبة الله وتقواه في النيات والأقوال والأعمال كما تربية الآيات القرآنية الضمير السليم بالإيمان بالله أولاً ثم بإظهار قدرته ثانياً على علم مافى مكنونات النفوس (والله اعلم بما يوعون) (الانشقاق ٢٣) وهذه علامة بارزة على أن كل ما يعمله الإنسان في

قد افلح من تزكى . وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثر الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى . إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى) .

وهذا يعنى إن عناية الله تعالى بالإنسان امتدت لقرون متطاولة من قبل ختم الرسالة وإن مضامين الرسائل الربانية لا تختلف إلا باختلاف الزمان والمكان قال تعالى بعد ذكر بعض أمم الرسائل السابقة (ثم أنشأنا من بعدهم قروناً آخرين ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون . ثم أرسلنا رسلنا تترى كل ما جاء أمة رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضاً وجعلناهم أحاديث فبعثاً لقوم لا يؤمنون) (المؤمنون ٤٢-٤٤) .

أثر الإيمان في تهذيب الأخلاق

تربية الوجدان:

يلاحظ القاري للجزء الثلاثين أن قضية الإيمان أخذت حيزاً كبيراً في هذا الجزء ، وبأساليب مختلفة: أسلوب التقرير وأسلوب التعجب وأسلوب الاستفهام والاستنكار . ذلك أن القصد هو بناء أساس متين للدين ولما يأتي من تكاليف عظيمة مثل ما جاء في سورة المزمل : (... ورتل القرآن ترتيلاً . أنا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً) (٥،٤)

والقرآن الذي وصف بأنه النبأ العظيم إنما يقود إلى الإيمان بأمور تربية الوجدان وتهيئ النفوس إلى السمو الروحي وترتفع بها إلى الملائكية التي لا تعرف إلا الخير والحق والجمال . إن سورة النبأ تضع ميزان الجزاء الوفاق لهؤلاء

القيم بل هي بمثابة الأم لكل القيم وإذا فهمنا التقوى بحسبانها المؤثر الذي يميل بالسلوك إلى جهة الخير والحق والعدل مثل ما تفعل الأم بأولادها أن يكونوا بارين صالحين حائدين عن طريق الشر. فان التقوى تقوم بمثل هذا الدور. بالطبع لن يكون كل الناس على ذات المستوى من الإتياع لذا كان لا بد من حافز آخر يميل بالمؤثر إلى جهة التقوى التي هي ضد الفجور ولذا جاء ذلك في قوله سبحانه (وان سبيكم لشتى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى) . والفجور في المقابل هو البخل والاستغناء والتكذيب.

القيمة الثانية من القيم النبيلة التي تكرسها قصار السور الصدق والتصديق فالصدق خصلة يكونها في النفس الإيمان ولذا لما سئل المصطفى صلى الله عليه وسلم: أيكون المسلم كذاباً؟ قال لا!

إذ أن الجبن والبخل قد يكونان من الغرائز ويمكن معالجتهما بالتزكية وحسن التربية. أما الكذب فهو دائماً تدبير مع سبق الإصرار والكافر المكذب جاء فيه (انه فكر وقدر. فقتل كيف قدر. ثم قتل كيف قدر. ثم نظر. ثم عبس وسر. ثم أدبر واستكبر. فقال إن هذا إلا سحر يؤثر) (المذثر ١٨-٢٤). وورد التخويف بالويل للمكذبين في جملة من النصوص. وقد يلاحظ المتدبر التلازم بين الكاذبين على الناس والمكذبين لرسول الله تعالى كما جاء في قوله سبحانه (إنما يفترى

كتاب مبين. انه الكتاب المرقوم الذي اشرنا إليه في الآيات السابقة وفي قوله تعالى (وان عليكم لحافظين. كراما كاتبين. يعلمون ما تفعلون) (الانفطار ١٠-١٢) .

إن كل الآيات التي نذكر بالبعث والحساب تحفر شعور المؤمن المسؤولية عن عمله مثل قوله تعالى: (يا أيها الإنسان انك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه) (الانشقاق ٦) أو قوله عن الإنسان: (انه على رجعه لقادر يوم تبلى السراير فماله من قوة ولا ناصر) (الطارق ٨-١٠) أو قوله: (أفلا يعلم إذا بعثر ما فى القبور. وحصل ما فى الصدور. أن ربهم بهم لحبير) .

إن أظهر مثال للتربية الخلقية القرآنية الناجحة القصة المشهورة التي حدثت في عهد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قصة الحوار الذي دار بين الأم بائعة اللبن وابنتها. حيث أمرت الأم ابنتها بخلط اللبن بالماء لتكثيره لمزيد من الربح فينتهي الحوار إلى قول الفتاة إن كان عمر لا يعلم فالله يعلم فيمتنعان عن ذاك الفعل القبيح.. وعلى نحو مثل هذه القصة كان المصطفى عليه الصلاة والسلام يتعهد أصحابه بقصص الأمم السابقة مثل حديث الثلاثة الذين سُد عليهم الغار بصخرة ولم يكن لهم من ملجأ إلا الاستغاثة لله تعالى بأعمال كانت كلها من أعمال الضمائر وتقتل أعلى درجات السما الخلقية.

قائمة القيم النبيلة وأصدادها

كما أشرت من قبل فإن التقوى من أنبل

الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم

(الكاذبون) (النحل ١٠٥) .

ومن الصفات التي يحبها الله تعالى الإيثار
المقتضى للكرم وهو من الرحمة التي جعلها
الله تعالى في قلوب المؤمنين . الذين قال
فيهم وفى فوزهم يوم الجزاء (ثم كان من
الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالرحمة
. أولئك أصحاب الميمنة)

وأما البخلاء الأنانيون فقد قال فيهم (والذين
كفروا بآياتنا هم أصحاب المشئمة عليهم ناراً
مؤصدة) . وقد استحقوا الويل لأنهم بالقطع
هم المطففون : (الذين إذا اكتالوا على الناس
يستوفون . وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون)
. أنانيون ماديون (يأكلون التراث أكلاً لما
ويحبون المال حباً جماً) . إن الأنانية كما
أخرجت إبليس من الجنة تخرج كل أناني
يغبط حق الآخرين من رحمة الله تعالى .

قراءة في المعاملات :

المعاملة مع الله عز وجل :

المعاملة كلمة تدل على المفاعلة بين طرفين
أو أطراف . والمطالِب بحسن المعاملة هو
الإنسان .

والإنسان في هذا الوجود تحيط به النعم وهذا
مالا ينكره احد . والنعم كل مافى الكون من
المسخرات لمصلحة الإنسان : الأرض وما فيها ،
والسماء وأفلاكها .

ومن المُسَخِّر لكل ذلك ؟ انه الله الذي تحدث
للناس عبر الرسالات وبين لهم تفضله وأنعامه
وعجز العقلاء من نسبة ذلك لغيره .

انه الله الذي يقول (والأرض مددناها . والقينا

وبعد الصدق تأتى العفة في راس قائمة
القيم النبيلة ، وهى البعد عن الدنيا والأخذ
بمعالي الأمور . وابرز ما يدل عليها في هذا
الجزء من القرآن الكريم في سورة النازعات
من قوله تعالى : (وأما من خاف مقام
ربه ونهى النفس عن الهوى . فان الجنة هي
المأوى) . وهوى النفس يعبر به عن الوقوع
في الشهوات وأتباع المنكرات . انه الإجرام
الذي يقابل العفة أو إن شئت فقل الدناءة
التي تتضخم فتكون فساداً أو طغياناً مثل
فساد (الذين طغوا في البلاد . فأكثروا فيها
الفساد . فصب عليهم ربك سوط عذاب) (الفجر ١١-١٣) .

والقيمة التالية من القيم النبيلة المعينة على
كل عمل نبيل الصبر ، الذي قيل فيه :

ألا بالصبر تبلغ ما تريد

وبالتقوى يلين لك الحديد

وإذا كان الإنسان متحلياً بالصبر فقد تجاوز
الخسران وتبعد عن الدناءة . ومصدق ذلك في
سورة العصر (إن الإنسان لفي خسر إلا
الذين آمنوا وعملوا الصالحات . وتواصوا بالحق
وتواصوا بالصبر) .

وتأتى في مقابل الصبر خصلة ذميمة وهى
العجلة التي تقود إلى ما اشرنا إليه من إيثار
العاجل على الأجل . ويوم تتضح معالم الحق
(يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى . يقول
ياليتنى قدمت لحياتي) (الفجر ٢٣، ٢٤)

لکم ولإنعامکم) (٢٤-٣٢) . تکررت الآية الأخيرة في سورتي النازعات وشمس . فتحصل الالتجاء للاعتراف بمنعم هذه النعم . الذي لا يستحق غيره أن يُعبد كما بيناه في التدبر في سورة الفاتحة . فهو المستحق للتمجيد والثناء والتسبيح ولا يستحق ذلك احد غيره . لذا جاء الأمر لأفضل الخلق محمد صلى الله عليه وسلم وعبره للناس أجمعين : (سبح اسم ربك الأعلى . الذي خلق فسوى . والذي قدر فهدى . والذي أخرج المرعى . فجعله غثاءً أحوى ... إلى قوله :) (قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى) (الأعلى ١-١٥) .

المعاملة المطلوبة بين الله والناس أن يعبدوه لا يشركون به أحداً ولا شيئاً . كما جاء في أول سورة المدثر (قم فأنذر . وربك فكبر . وثيابك فطهر . والرّجز فاهجر . ولا تمنن تستكثر . ولربك فاصبر) . الرجز الأصنام والأوثان . في هذه الآيات التي تعتبر منطلقاً للتكليف جاء الأمر بالدعوة لله تعالى . وللتكبير والطهارة رمزاً للصلاة الدائمة ودعوة للتوحيد وهجر عبادة الرجز وهي الأصنام والأوثان . ودعوة لحسن الأخلاق بالعطاء وعدم المن والأذى . ودعوة للصبر وتقدير المفعولات على الفاعل دلالة على الاهتمام والحصر . أصله كبر ربك ، وطهر ثيابك وأهجر الرجز . والحمد لله الذي نزل أحسن الحديث وأبلغ الأساليب .

فيها رواسي . وأنبتنا فيها من كل شئ موزون . وجعلنا لكم فيها معاش ومن لستم له برازقين . وإن من شئ إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم . وأرسلنا الرياح لواقح . فأنزلنا من السماء ماءً فاستقينا كموه وما أنتم له بخازنين) (الحجر ١٩-٢٢) . والسورة التي بعد سورة الحجر هي سورة النحل ولما ذكر فيها من نعم الله تعالى سميت سورة النعم أيضاً .

أما سورة عم فاتحة الجزء الذي نتدبره فقد ساقته هذه النعم بأسلوب سهل سلس وبصيغة ألتساؤل : (ألم نجعل الأرض مهاداً . والجبال أوتاداً . ونخلقنكم أزواجا . وجعلنا نومكم سباتاً . وجعلنا الليل لباساً . وجعلنا النهار معاشاً ...) مَنْ يستطيع أن يتحدث بهذا الجزم شير الله تعالى . إن فرعون لما جاءته الآية الكبرى : (فكذب وتصى . ثم أدبر يسعى فحشر فنادى . فقال أنا ربكم الأعلى) (ما إذا حدث عند ذلك ؟) فأخذ الله نكال الآخرة والأولى . إن في ذلك لعبرة لمن يخشى . ثم عدد الله تعالى في ذات الموضع من السورة كثيراً من النعم (متاعاً لكم ولأنعامكم) (النازعات ٣٢) ولا يفوتني أن أذكر إن سورتي الحجر والنحل مكيتان تخاطبان المشركين من أهل مكة كما الحال في سورتي عم والنازعات .

ولم تخل سورة عبس من تعداد النعم أيضاً بعد الدعوة إلى النظر : (فلينظر الإنسان إلى طعامه ... إلى قوله سبحانه :) (متاعاً